

الحجاج بن يوسف

أَوَّلُ مَنْ أَمَرَ بِتَشْكِيلِ الْمَصَاحِفِ وَتَجْزِئَةِ الْقُرْآنِ

أَنَا كَلِيبُ بْنُ يُوْسُفَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي عَقِيلِ أَبُو مُحَمَّدٍ، الْمَعْرُوفُ بِالْحَجَّاجِ بْنِ يُوْسُفَ الثَّقَفِيِّ. وُلِدْتُ سَنَةَ (40هـ - 661م)، وَنَشَأْتُ فِي ظِلِّ عَائِلَةٍ كَرِيمَةٍ مِنْ عَائِلَاتِ ثَقِيفٍ، وَكَانَ وَالِدِي رَجُلًا مُبْتَدِعًا؛ إِذْ كَانَ مُطَّلِعًا عَلَى الْعِلْمِ وَفَضَائِلِ الْأَدَابِ، حَتَّى إِنَّهُ كَرَسَ حَيَاتَهُ لِتَعْلِيمِ أَبْنَاءِ الطَّائِفِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، دُونَ تَلْقَى أَجْرٍ عَلَى عَمَلِهِ هَذَا. وَمِنْ هَذَا الْمَنْطِقِ حَفِظْتُ كِتَابَ اللَّهِ عَلَى يَدِ وَالِدِي، ثُمَّ وَلَجْتُ حَلَقَاتِ الْأُئِمَّةِ وَكِبَارِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ أَمْثَالِ: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ، وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، وَغَيْرِهِمْ. وَبَعْدَ ذَلِكَ انْخَرَطْتُ فِي تَعْلِيمِ الصَّبِيَّانِ شَأْنِي فِي ذَلِكَ شَأْنِ وَالِدِي، وَقَدْ أَثَرَتْ نَشَأَتِي بِالطَّائِفِ فِي فَصَاحَتِي، فَقَدْ اتَّصَلْتُ بِقَبِيلَةِ هَذِيلِ الَّتِي كَانَتْ تُعَدُّ مِنْ أَفْصَحِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَبَرَعْتُ فِي مَجَالِ الْخُطَابَةِ.

وَلَكِنِّي تَرَكْتُ التَّعْلِيمَ، وَالتَّحَقُّقُ بِالْجَيْشِ الْأُمَوِيِّ، وَمَضَيْتُ فِي التَّرَقِّيِ وَالتَّطَوُّرِ حَتَّى وَلَانِي الْخَلِيفَةُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ قِيَادَةَ جَيْشٍ لِمُحَارَبَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فِي مَكَّةِ الْمَكْرَمَةِ، كَمَا وَلَانِي عَبْدُ الْمَلِكِ الْحَجَّازَ وَالْيَمَنَ، فَتَمَكَّنْتُ خِلَالَ عَامَيْنِ اثْنَيْنِ مِنْ نَشْرِ الْأَمْنِ فِي هَاتَيْنِ الْمُنْطَقَتَيْنِ، وَأَصْبَحَ الْجَمِيعُ يُطِيعُونَ بَنِي أُمَيَّةَ، وَبِنَاءً عَلَى هَذَا وَلَانِي عَبْدُ الْمَلِكِ الْعِرَاقَ.

تَوَلَّيْتُ أَمْرَ الْعِرَاقِ عَامَ (75هـ - 694م)، فَأَدْعَعْتُ الْأَمْنَ خِلَالَ عَشْرِ سَنَوَاتٍ؛ إِذْ قَضَيْتُ عَلَى الْخَوَارِجِ، وَعَلَى الْمُتَمَرِّدِينَ عَلَى دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةَ.



خَطَبْتُ خُطْبَةً فِي النَّاسِ عِنْدَمَا تَوَلَّيْتُ الْعِرَاقَ، وَكَانَتْ خُطْبَةً مَشْهُودَةً تَنَاقَلَهَا النَّاسُ فِي كُلِّ مَكَانٍ حَتَّى عَمَّتْ أَصْدَاؤُهَا أَرْجَاءَ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَكَانَتْ الْخُطْبَةُ تَقْرِيعًا وَتَوْبِيخًا لِأَهْلِ الْكُوفَةِ. قَاتَلْتُ الْخَوَارِجَ بِالذَّهَابِ مَعَ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ، وَعِنْدَهَا أَعْلَنْتُ أَنَّي رَجُلٌ خَالَفَ مَنْ سَبَقَنِي مِنَ الْوُلَاةِ، كَمَا أَعْلَنْتُ عَنِ اتِّبَاعِ الْقُوَّةِ وَالشَّدَّةِ وَالْبَطْشِ فِي مُعَامَلَتِي أَهْلَ الْعِرَاقِ. شَهِدْتُ مُدَّةً وَلايَتِي الْعِرَاقَ الْقِيَامَ بِالْعَدِيدِ مِنَ الْإِصْلَاحَاتِ الْإِدَارِيَّةِ وَالْعُمُرَانِيَّةِ؛ فَقَدْ أَمَرْتُ بِنَاءَ مَدِينَةٍ وَاسِطٍ، الَّتِي اتَّخَذْتُهَا عَاصِمَةً لِي؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْكُوفَةَ كَانَتْ مُشَايِعَةً لِأَلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، بَيْنَمَا كَانَتْ الْبَصْرَةُ مُنَاصِرَةً لِأَلِ الزُّبَيْرِ.

وَقَدْ قُمْتُ إِبَّانَ تَكْلِيفِي بِوِلَايَةِ الْعِرَاقِ بِقِيَاسِ جَمِيعِ مَنَاطِقِ الْعِرَاقِ، وَعَيَّنْتُ أَمَاكِنَهَا، وَسَجَّلْتُ الْأَمْلاكَ، كَمَا أَعَدْتُ حَفَرَ قَنَوَاتِ الْمَاءِ الَّتِي طُمِرَتْ فِي الْحُرُوبِ وَالْمَعَارِكِ، وَقُمْتُ أَيْضًا بِتَوْحِيدِ الْمَوَازِينِ وَالْمَكَايِلِ.

وَقَدْ حَرَضْتُ عَلَى تَحْوِيلِ لُغَةِ دَوَاوِينِ الْحُكُومَةِ إِلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ تُدَوَّنُ بِاللُّغَةِ الْفَهْلَوِيَّةِ (الْفَارْسِيَّةِ الْقَدِيمَةِ)، كَمَا قُمْتُ بِسَكِّ الْعُمَلَةِ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ.

كَانَ لِي السَّبْقُ فِي تَنْظِيمِ

عَمَلِ الْجَيْشِ، وَجَعَلْتُ الْخِدْمَةَ فِي الْجَيْشِ إِجْبَارِيَّةً، مَا سَاعَدَنِي عَلَى إِزْسَالِ الْجُيُوشِ لِفَتْحِ الْمَشْرِقِ، فَتَمَّ فَتْحُ بَلْخِ، وَطَخَارِسْتَانَ، وَفَرغانَةَ وَهِيَ مَنَاطِقُ تَقَعُ فِي وَسْطِ قَارَةَ آسِيَا، وَفِي غَرْبِ الْهُنْدِ، كَمَا فَتَحْتُ جُيُوشِي مِنْطَقَةَ السَّنْدِ، ثُمَّ تَمَكَّنْتُ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى كَاشْغَرَ الْوَاقِعَةِ عَلَى حُدُودِ دَوْلَةِ الصِّينِ.

وَمِنْ أَهَمِّ الْأَعْمَالِ الَّتِي قُمْتُ بِهَا وَأَجَلَّهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ أَمْرِي بِتَشْكِيلِ الْمَصَاحِفِ وَتَجْزِئَةِ الْقُرْآنِ، وَوَضْعِ إِشَارَاتٍ تَدُلُّ عَلَى نَصْفِ الْقُرْآنِ وَثُلُثِهِ وَرُبْعِهِ وَخُمْسِهِ، وَرَغَبْتُ فِي أَنْ يَعْتَمِدَ النَّاسُ عَلَى قِرَاءَةِ وَاحِدَةٍ، وَأَخَذَ النَّاسُ بِقِرَاءَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، وَتَرَكَ غَيْرَهَا مِنَ الْقِرَاءَاتِ، كَمَا كَتَبْتُ مَصَاحِفَ عَدِيدَةٍ مُوَحَّدَةً وَبَعَثْتُ بِهَا إِلَى الْأَمْصَارِ.

